

2011

دراسة اجتماعية لمجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (884هـ/1479م - 951هـ/1544م) من خلال كتاب "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" لابن طولون الصالحي

صبيح محمد عزام
جامعة مؤتة الكرك، الأردن

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Sociology Commons](#)

Recommended Citation

محمد عزام, صبيح (2011) "دراسة اجتماعية لمجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (884هـ/1479م - 951هـ/1544م) من خلال كتاب "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" لابن طولون الصالحي", *Dirassat*: Vol. 14 : No. 14 , Article 4. Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol14/iss14/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

دراسة اجتماعية لمجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (884هـ/1479م -951هـ/1544م) من خلال كتاب "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" لابن طولون الصالحي

Cover Page Footnote

ابن طولون الصالحي، محمد بن علي (539 هـ / 1546 م) ، الفلك المشحونفي أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد -1 خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت ، 1996 ص 27 ابن عماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/ 1678 م) شدرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 ج دار المسيرة بيروت، ط2، 1979، ج8، ص298، الغزي، شيخ نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 3 ج، حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ج2، ص52.

دراسة اجتماعية لمجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (884 هـ / 1479 م - 951 هـ / 1544 م) من خلال كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون الصالحي

ذ. صبحي محمد عزام
قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية
جامعة مؤتة الكرك -الأردن

مقدمة

المؤلف حياته وثقافته : هو محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خماروية بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي⁽¹⁾ الملقب بشمس الدين والمكني أبي الفضل⁽²⁾ ولد بحكر الحجاج في صالحيه دمشق عام 880 هـ / 1475 م⁽³⁾ لا نعرف عن والده شيء، في حين أن والدته تعرف بأزدان الرومية⁽⁴⁾ نشأ المؤلف في كنف والده وعمه وأخيه من أمه الخواجا برهان الدين، لاسيما بعد وفاة والدته في الطاعون⁽⁵⁾.

بدأ تعليمه بتعلم الخط بالمدرسة الحاجبية وحفظ القرآن بمسجد الكوافي⁽⁶⁾ بعد ذلك اخذ في حفظ متون العلوم الدينية واللغة العربية، وعرض تلك المتون على شيوخ عصره⁽⁷⁾ وترقه الهمة به إلى الاشتغال بفنون العلوم المختلفة، إذا اشتغل بعلم الكلام، وأصول الفقه وأصول النحو وعلم التصريف والتفسير والعروض والقوافي والطب والهيئة والهندسة والمعاني والبديع والحساب والفرائض والفلك والتاريخ واللغة والنصوص والفقه والعلم الإلهي والطبيعي⁽⁸⁾.

(1) ابن طولون الصالحي، محمد بن علي (ت 539 هـ / 1546 م)، الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1996، ص 27 ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ / 1678 م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 ج، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979، ج8، ص298، الغزي، الشيخ نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 3 ج، حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ج2، ص52.

(2) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص27، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص298، الغزي الكواكب السائرة، ج2، ص52.

(3) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص27، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص298، الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص52.

(4) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص27.

(5) المصدر نفسه، ص27.

(6) المصدر نفسه، ص28.

(7) المصدر نفسه، ص28-29، الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص53.

(8) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص43-52، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص298، الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص53.

وكان من أبرز الوظائف التي تقلدها عقد الأنكحة (9) والقراءات (10) والإمامة (11) والخطابة (12) والشهادة (13) والإشراف (14) وخدمة الكتب (15) وكتابة الغيبة (16) والتصوف (17) والفقاهة (18) والتدريس (19) والشيخية (20) والنظر (21).

وكتاب مفاكهة الخلان موضوع الدراسة يعد المصدر الأول لتاريخ مدينة دمشق في الأيام الأخيرة من عمر الدولة المملوكية، وبداية الحكم العثماني. وهي فترة مضطربة غائبة المعالم لم تصلنا عنها مصادر ووثائق كافية.

سار ابن طولون في كتابة على نظام الحوليات، جمعه من مذكراته الشخصية ومؤلفات عدد من شيوخه، ذكر فيه أخبار الحكام والنواب، والنظم الإدارية والحربية، وتحدث عن الأحوال الاجتماعية من حياة العامة اليومية، والأعياد، والمواسم، والحفلات الشعبية وإقامة الزينات والموكب. وتناول الأحوال الاقتصادية فذكر أخبار التجار والأسواق وأسعار المحاصيل والسلع، والمصادرات والضرائب، والمسكوكات من الذهب والفضة والنحاس، كل ذلك بأسلوب لغوي سهل بسيط، سليم العبارة، تتخلله تعبيرات عامية ومصطلحات شامية أصلية .

1- عناصر السكان

أ. المسلمون : كان سكان مدينة دمشق يتوزعون على الديانات السماوية الثلاث، الإسلام والنصرانية واليهودية، وكان المسلمون ينقسمون إلى سنة وشيعة، والسنة يتوزعون على المذاهب الإسلامية الأربعة الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، وكان المذهب

(9) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص 59.

(10) المصدر نفسه ص 62، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 8، ص 299.

(11) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص 64.

(12) المصدر نفسه، ص 64.

(13) المصدر نفسه، ص 64.

(14) الإشراف: هي أن يشرف على أمور المدرسة كالنظافة وأمثالها، الفلك المشحون، مقدمة المحقق، ص 64.

(15) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص 65.

(16) كتابة الغيبة: هي أن يخصص موظف ليكتب اسم من يتخلف عن الحضور، الفلك المشحون، مقدمة المحقق، ص 65.

(17) التصوف: يكون في الخوانق والأربطة، الفلك المشحون، مقدمة المحقق، ص 65.

(18) الفقاهة: أن يكون صاحب هذه الوظيفة مشتغلا بالفق، الفلك المشحون، مقدمة المحقق، ص 66.

(19) ابن طولون الصالحي، الفلك المشحون، ص 67.

(20) المصدر نفسه، ص 67.

(21) النظر، المدير العام للمدرسة، الفلك المشحون، مقدمة المحقق، ص 68.

الوزير، والاحتجاج على تصرفات العسكر من خطف خيول الناس وعمائمهم⁽³¹⁾ وتقلد نيابة دمشق عام 940 هـ/1533م نائب يغلب عليه مسلك التصوف⁽³²⁾ واعتاد أحد مشايخ الصوفية عام 944 هـ/1537م الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإراقة الخمر، ومهاجمة الأتراك وكسر خمائيرهم⁽³³⁾.

ب. الشيعة : يورد المصدر إشارة إلى وجود التشيع في المدينة في حيّ الخراب⁽³⁴⁾ ويفهم من الإشارات أن هذه الفئة من السكان لم تكن مقبولة من قبل السلطة السياسية، إذ يذكر أنه ورد مرسوم شريف عام 892 هـ/1486م بإصلاح المسجد الذي يقع على باب جيرون، بعد إحداث البدع به من طائفة الروافض⁽³⁵⁾. وقام ابن يونس القاضي عام 912 هـ/1506م الحكم على شخصين بالقتل بعد أن ثبت أنهما رافضيان بربط رقبتيهما وإلقاء القنب والبواري والحطب عليهما إلى أن صارا رمادا⁽³⁶⁾ كما كانت العامة تكن الكراهية لهم. إذ حين هاجم شيخ الرافضة كبير الحشارية عام 895 هـ/1489م، هاجم الحشارية أهل سكيك الروافض، وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلاً إضافة إلى نهب أقواتهم وأموالهم وسبي حريمهم⁽³⁷⁾.

وتشددت السلطة العثمانية تجاه هذه الفئة أيضاً، إذ توجه نائب دمشق لقتال دروز الشوف عام 929 هـ/1522م، فاحرق قرية الباروك، وثلاثة وأربعين قرية أخرى⁽³⁸⁾ وعاد من قتالهم عام 930 هـ/1523م وهو يحمل ثلاثة أحمال من رؤوس الدروز، إضافة إلى إحراق ثلاثين قرية⁽³⁹⁾ وأحمال من الكتب تحوي عقائدهم⁽⁴⁰⁾ وتمثلت الكراهية لهم من قبل العامة في الاحتفالات الخاصة بهم، إذ حين خرجت هذه الفئة تندب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عام 924 هـ/1518م، أمر القاضي بالقبض عليهم وضربهم⁽⁴¹⁾ ولم

(31) المصدر نفسه ، ص 180.

(32) المصدر نفسه، ص 286.

(33) المصدر نفسه، ص 307.

(34) زواهره ، تيسير خليل، تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء حوران 1840-1864م/1255-1282 هـ . جامعة مؤتة، الكرك، 1992، ص 18.

(35) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص 82-83.

(36) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص 299.

(37) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص 128.

(38) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص 162.

(39) المصدر نفسه، ص 170-171.

(40) المصدر نفسه، ص 171.

(41) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج2، ص 78-79.

5

كما تعرضت هذه الفئة للمضايقات من العامة، إذ سرق للتجار النصارى ثلاث حوانيت عام 886 هـ/1481م⁽⁵⁵⁾.

وأخذ التجار النصارى سبع حوانيت في سوق البزورية عام 890 هـ/1485 م⁽⁵⁶⁾ وأحرقت المساكن الخاصة بالإفرنج عام 894 هـ/1488م وذهبت أموال كثيرة لهم⁽⁵⁷⁾.

واعتاد هؤلاء الاحتفال بعيد خميس البيض، والخروج إلى المرشدية للتزهر⁽⁵⁸⁾ وأحياناً أخرى الذهاب إلى مدينة القدس والصلاة في كنسية القيامة، إذ قام نصارى الحبشة بزيارة القدس عام 886 هـ/1481م وكبيرهم يجلس في كرسي من ذهب وأذبال ذهبية معلقة عليه⁽⁵⁹⁾.

د. اليهود : كان منهم القرائيين والريانيين والسامره⁽⁶⁰⁾ وكان وجودهم في المدينة يتركز في أحياء وأزقة خاصة بهم⁽⁶¹⁾ و الإشارات الواردة تفيد أن وضع هذه الفئة من السكان كان أفضل من وضع النصارى في العهدين المملوكي والعثماني، إذ كانوا يتقلدون دار الضرب، فيرد أن معلم دار الضرب اليهودي، دخل دمشق عام 916 هـ/1510م وعليه خلعه من السلطان، وحوله جماعة من المسلمين والمنافقين⁽⁶²⁾. وكان معلم دار الضرب اليهودي عام 922 هـ/1516م مسؤولاً عن فساد النقد⁽⁶³⁾. وكانت علاقة هذه الفئة مع السلطة السياسية جيدة، إذ حين قدم النائب من مصر عام 892 هـ/1486م خرج اليهود لملاقاته في سبتهم رغم المطر والبرد والوحل⁽⁶⁴⁾. وأثناء مرور السلطان سليم خان في حارتهم، نثر عليه معلم دار الضرب دراهم أشرفية تقدر بألف درهم⁽⁶⁵⁾. وحين زاد ناظر الجوالي ضريبة الجزية عليهم عام 931 هـ/1524م⁽⁶⁶⁾ سارع اليهود بالذهاب إلى السلطان

(55) المصدر نفسه، ج1، ص835.

(56) المصدر نفسه، ج1، ص68.

(57) البصروي، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي البصري الشافعي (ت905 هـ/1499م) تاريخ البصري، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة 871-904 هـ، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1988، ص137، دارفيو وصف دمشق في القرن السابع عشر، ص70.

(58) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج2، ص95.

(59) المصدر نفسه، ج1، ص39.

(60) المصدر نفسه، ج1، ص7، 157، نعيصة يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين 1772-1840م، 1186-1256 هـ، ج2، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1986، ج1، ص82.

(61) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج2، ص39.

(62) المصدر نفسه، ج1، ص35.

(63) المصدر نفسه، ج2، ص5.

(64) المصدر نفسه، ج1، ص73.

(65) المصدر نفسه، ج2، ص16.

(66) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص181.

الشاغور⁽⁸⁶⁾ (الإقباعية ⁽⁸⁷⁾ العجالين ⁽⁸⁸⁾ جامع حسان⁽⁸⁹⁾ ميدان الحصى ⁽⁹⁰⁾ حارة
النصارى ⁽⁹¹⁾ الفراونة ⁽⁹²⁾ باب المصلي⁽⁹³⁾ الحمزاويه ⁽⁹⁴⁾ اللبانة ⁽⁹⁵⁾ قصر حجاج ⁽⁹⁶⁾
القطائع ⁽⁹⁷⁾ القبيبات ⁽⁹⁸⁾ مسجد الزيات ⁽⁹⁹⁾ السوابله ⁽¹⁰⁰⁾ باب السريجة ⁽¹⁰¹⁾ حارة
اليهود ⁽¹⁰²⁾ الحصوية ⁽¹⁰³⁾ .

قناة العوني⁽¹⁰⁴⁾ مسجد القصب ⁽¹⁰⁵⁾ المؤيدية ⁽¹⁰⁶⁾ وكان للحارات تنظيم خاص ، إذ
وجد على رأس كل حارة عدد من الأكابر والشيوخ ، وهؤلاء في الغالب من السباهية
الإقطاعيين والأثرياء ورؤساء الأسر القوية، وبعض أغوات الانكشارية ⁽¹⁰⁷⁾. وقد شكل
هؤلاء هيئة إدارية واقتصادية واجتماعية في الحارة، وإلى جوارهم وجد عرفاء
الحارات⁽¹⁰⁸⁾ وكان دور هؤلاء يتمثل في جباية الأموال ⁽¹⁰⁹⁾.

(86) المصدر نفسه، ج1، ص92.

(87) المصدر نفسه، ج1، ص66.

(88) المصدر نفسه، ج1، ص204.

(89) المصدر نفسه، ج1، ص204.

(90) المصدر نفسه، ج1، ص247 ابن طولون الصالحي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 953 هـ/ 1546م)
إعلام الوري لمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق،
ط2، 144، 2 هـ ص159.

(91) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص153.

(92) ابن طولون الصالحي، إعلام الوري، ص121.

(93) المصدر نفسه، ص160.

(94) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص161.

(95) المصدر نفسه، ج1، ص161.

(96) المصدر نفسه، ج1، ص164.

(97) المصدر نفسه، ج1، ص180.

(98) المصدر نفسه، ج1، ص182.

(99) المصدر نفسه، ج1، ص183.

(100) المصدر نفسه، ج1، ص267.

(101) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص110.

(102) المصدر نفسه، ص103.

(103) المصدر نفسه، ص105.

(104) المصدر نفسه، ص115.

(105) المصدر نفسه، ص115.

(106) المصدر نفسه، ص257.

(107) نعيه، مجتمع مدينة دمشق، ص83.

(108) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج2، ص68.

(109) المصدر نفسه، ج1، ص309.

وتسجيل أسماء الأشخاص وأملاكهم⁽¹¹⁰⁾ وتزويد السلطة بأسماء الزعر الموجودين في الحارة⁽¹¹¹⁾ ومطالبة السكان بالمحاصيل وتقديمها للسلطة إذ طلب عام 923 هـ/ 1517م ما يفضل الرجل وعياله من القمح والشعير⁽¹¹²⁾ والقبض على المناحيس الذين يثيرون القلق لدى سكان الحارة⁽¹¹³⁾ وتوفير الحماية للأفراد من المطالبة المالية⁽¹¹⁴⁾ ونظراً لعلاقة هذه الفئة مع السلطة السياسية، فقد كانت غير مقبولة من قبل العامة، لهذا أقدم جماعة من أهل المزه عام 909 هـ / 1503م على قتل أحد العرفاء⁽¹¹⁵⁾ وهناك وظيفة النقباء ورؤساء النوب إذ نودي عام 918 هـ/ 1512م ببيطلان مشايخ الحارات ورؤوس النوب والنقباء⁽¹¹⁶⁾ وكذلك عام 924 هـ/ 1518م⁽¹¹⁷⁾ دون معرفة الدور الذي يقوم به هؤلاء، واشترط الزعر عام 910 هـ / 1504م بوضع أمين في الحارة⁽¹¹⁸⁾ دون معرفة دور الأمين إضافة إلى ذلك وجد في كل حارة خازن⁽¹¹⁹⁾ .

المساهمة العسكرية للحارة:

كان في كل حارة من حارات دمشق، قوة شبه عسكرية عرفت باسم الزعر، إذ عرض مشاة الشاغور عام 893 هـ/ 1487م واجتمع الخلق للفرجة عليهم ⁽¹²⁰⁾ وكان دور هذه القوة شبه العسكرية فرض الأمن والاستقرار في الحارة، والتصدي للأخطار الخارجية، إذ قام النائب بتدريب الحارات عام 902 هـ/ 1496 م للتضييق على الحرامية ⁽¹²¹⁾ وبطل التدريب عام 905 هـ/ 1499م وأكل العرفان المال ⁽¹²²⁾ وتصدى زعر الشاغور للعسكر من العبيد السودان والمماليك عام 908 هـ/ 1502م وساعدهم جماعة من زعر الحارات ⁽¹²³⁾ كما

(110) المصدر نفسه، ج2، ص 68.

(111) المصدر نفسه، ج2، ص58.

(112) المصدر نفسه، ج2، ص70.

(113) المصدر نفسه، ج 1، ص 66.

(114) ابن طولون الصالحی، إعلام الوری، ص 180.

(115) ابن طولون الصالحی، مفاکهة الخلان، ج 1، ص 274.

(116) المصدر نفسه، ج 1، ص 374.

(117) ابن طولون الصالحی، حوادث دمشق اليومية، ص 98.

(118) ابن طولون الصالحی، مفاکهة الخلان، ج 1، ص 283.

(119) المصدر نفسه، ج 1، ص 91.

(120) المصدر نفسه، ج 1، ص 92.

(121) المصدر نفسه، ج 1، ص 172.

(122) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 96-97.

(123) ابن طولون الصالحی، مفاکھة الخلان، ج 1، ص 260.

تصدى زعر الحارات لتعدييات العسكر عام 922 هـ/1516م⁽¹²⁴⁾ كما كان لهم مشاركة في الحملات العسكرية، إذ شارك مشاة الحارات عام 907 هـ/1501م في ملاقات الحاج بعد تعرضه لمضايقة القبائل البدوية⁽¹²⁵⁾ وشارك المشاة في التجريدة التي أخرجتها الدولة عام 912 هـ/1506م إلى الكرك والشوبك⁽¹²⁶⁾ والخروج لقتال العرب مع أمير حوران عام 914 هـ/1508م⁽¹²⁷⁾ واستقبالهم لضيوف جان بردي الغزالي الثائر عام 924 هـ/1518م وهم لابسين العدد الكاملة⁽¹²⁸⁾ وحصار شباب الشاغور والصالحية والحصوية قلعة دمشق عام 926 هـ/1519م مع الأمير جان بردي الغزالي⁽¹²⁹⁾ وعرض شباب الحارات بالعدد الكاملة عام 1926 هـ/1519م إرهاباً للعثمانيين في حلب⁽¹³⁰⁾ وعرض مشاة الحارات عام 927 هـ/1520م استعداد لمواجهة القوات العثمانية⁽¹³¹⁾ وأثناء القتال مع القوات العثمانية عام 927 هـ/1520م قتل من شباب الصالحية نحو الخمسين ومن كل حارة نحو المائة⁽¹³²⁾.

المساهمة المالية للحارة:

كانت السلطة السياسية تلجأ في الجباية من الحارات لأسباب مختلفة، إذ صودر أهل محلة قصر الحجاج عام 901 هـ/1495م بعد أن وجد صبيّ مذبوح في حارتهم⁽¹³³⁾ ورمي على الحارات⁽¹³⁴⁾ مالا عام 910 هـ/1504م لأجل رجلين قتلا⁽¹³⁵⁾ ولأجل قتل تاجر يهودي، رمى على أهل مسجد القدم ستمائة دينار عام 926 هـ/1516م وعلى أهل داريا الكبرى ألفي دينار⁽¹³⁶⁾.

(124) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص260.

(125) المصدر نفسه، ج2، ص29.

(126) المصدر نفسه، ج1، ص245.

(127) المصدر نفسه، ج1، ص309.

(128) المصدر نفسه، ص330.

(129) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص98.

(130) المصدر نفسه، ص109.

(131) المصدر نفسه، ص121-122.

(132) المصدر نفسه، ص124.

(133) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص164.

(134) الرمي: معناه التكاليف المادية، صالحة، محمد عيسى، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي مجلة أبحاث اليرموك، 9، 1993، ص157، العلبي، أكرم، دمشق بين العصر المماليك والعثمانيين 906-922 هـ/1500-1520م، دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، 1982، ص258.

(135) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص287.

(136) المصدر نفسه، ج2، ص91.

الميدان وليمه لزعر الشاغور والمزابل عام 902 هـ / (154) 1496 وأحيانا أخرى كان الصراع يظهر بين الحارات إذا تقاتل زعر الشاغور مع زعر المزابل عام 893 هـ / 1487 م (155) وزعر القبيبات مع زعر ميدان الحصى عام 903 هـ / 1497 م (156).

الزعر:

اشتهرت حارات دمشق، بوجود قوة شبه عسكرية عرفت باسم الزعر وهي من فئة الشباب (157) لها زعيم أزعرهم أبو طاقية (158) ولها هيئة خاصة إذ كانت تحمل السلاح في أوساطها من السكاكين والخناجر الطوال المذهبة (159) وقلب الثياب على الكتف، إذ في عام 909 هـ / 1503 م نودي أن لا يحمل أحد سلاح ولا يقلب ثيابه على كتفه (160).

علاقة الزعر بالعامية : برزت جماعة الزعر في الحارات من أجل فرض الأمن والاستقرار والتصدي للأخطار الخارجية، إلا أنها في فترة ضعف السلطة السياسية، انحرفت عن أهدافها، وبدأت تمارس القتل والنهب، إذا أكد النائب على أكابر الشاغور عام 890 هـ / 1485 م القبض على المناحيس وإلا يخرب الشاغور (161) وكثر القتل في دمشق عام 901 هـ / 1495 م من البلاصية وأهل الزعارة (162) وطاشت الزعر عام 902 هـ / 1496 م (163) وازداد الخوف عام 903 هـ / 1497 م لكثرة فسادهم وبغيهم (164). ونقل أكابر الحارات أاثامهم وأموالهم عام 903 هـ / 1497 م خشية من غوغاء الحارات (165) وأخذ زعر الحارات الكثير من أموال الناس عام 910 هـ / 1504 م (166) وأصبح زعر الحارات عام 911 هـ / 1505 م، في أكل وشرب ونهب وفساد في دماء المسلمين وأموالهم ونسائهم (167) وفتح زعر الحارات

(154) المصدر نفسه، ج1، ص180.

(155) المصدر نفسه، ج1، ص92.

(156) المصدر نفسه، ج1، ص181-182.

(157) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص109، 121.

(158) أبو طولون الصالحي، مفاكةة الخلان، ج1، ص251، 283.

(159) المصدر نفسه، ج1، ص66.

(160) المصدر نفسه، ج1، ص268.

(161) المصدر نفسه، ج1، ص66.

(162) المصدر نفسه، ج1، ص168.

(163) المصدر نفسه، ج1، ص179.

(164) المصدر نفسه، ج1، ص185.

(165) المصدر نفسه، ج1، ص186.

(166) المصدر نفسه، ج1، ص283.

(167) المصدر نفسه، ج1، ص293.

حوانيت الناس عام 913 هـ/1507م وبيع محتوياتها بواسطة أشخاص يكلفونهم بذلك (168) وفتح الزعر حوانيت وأسواق محلة شويكة وقبر عاتكة عام 913 هـ/1507م (169) وقتل الزعر خلقا كثير عام 922 هـ/1516م في دمشق وضواحيها (170).

علاقة الزعر بالسلطة السياسية:

كانت جماعة الزعر قد نشأت برضى من السلطة السياسية، نظراً للدور الذي تقوم به في مساعدة السلطة في فرض الأمن والاستقرار في الحارات، لهذا كانت السلطة السياسية تحرص على العلاقة الطيبة مع تلك الفئة، إذ عاتب النائب كبير زعر الشاغور وطاييه وخلع عليه عام 907 هـ/1501م (171) ومّرّ النائب بموكبه في حارة الشاغور عام 907 هـ/1501م (172) وشارك الزعر في قتال القبائل البدوية في حوران عام 914 هـ/1508م (173) ووقف الزعر مع الأمير جان بردى الغزالي الثائر على الدولة عام 924 هـ/1518م (174) بحيث قتل نحو الخمسين من الصالحية عام 927 هـ/1520م ومن كل حارة نحو المائة (175) ومنع الأهالي من دفن موتاهم عام 927 هـ/1520م بحجة أنهم بغاه وفق مذهب الحنفية (176) ورغم ذلك فإن السلطة كانت تلاحق الزعر أثناء الانحراف في سلوكها إذ قطع النائب أيدي عدد منهم عام 890 هـ/1485م (177) وقمّح النائب أهل الفساد والعناد عام 903 هـ/1497م (178) وشنق رجل من المجرمين الزعر بمحله جامع حسان عام 904 هـ/1498م (179) ونودى ببطلان الزعارة عام 905 هـ/1499م (180) وعام 907 هـ/1501م (181) وحرم عليهم لبس السلاح عام 909 هـ/1503م (182) وأهلك جماعات منهم عام 923

(168) المصدر نفسه، ج1، ص316.

(169) المصدر نفسه، ج1، ص320.

(170) المصدر نفسه، ج2، ص24.

(171) المصدر نفسه، ج1، ص251.

(172) ابن طولون الصالحي، إعلام الوري، ص121.

(173) المصدر نفسه، ج1، ص330.

(174) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص98، 105، 109، 121، 122.

(175) المصدر نفسه، ص130-124.

(176) المصدر نفسه، ص130-131.

(177) ابن طولون الصالحي، مفاهمة الخلان، ج1، ص66.

(178) البصروي تاريخه، ص221.

(179) ابن طولون الصالحي، مفاهمة الخلان، ج1، ص204.

(180) ابن طولون الصالحي، إعلام الوري، ج1، ص92.

(181) ابن طولون الصالحي، مفاهمة الخلان، ج1، ص247.

(182) المصدر نفسه، ج1، ص268.

هـ/1517م⁽¹⁸³⁾ وبعث إلى كل حارة من حارات دمشق خازوق ارهابا لهم عام 923 هـ/1517م⁽¹⁸⁴⁾.

العلاقة بين الزعر :

كانت العلاقة بين زعر الحارات التعاون في مواجهة الأخطار الخارجية، إذ تصدى الزعر للعسكر عام 908 هـ/1502م⁽¹⁸⁵⁾ وإقامة الولائم لبعضهم إذ أقام زعر الميدان وليمة لزعر الشاعور والمزابيل عام 902 هـ/1496م⁽¹⁸⁶⁾ واستقبال سلطان حرافيش مصر عام 895 هـ/1489م والطبول تضرب بين يديه والأعلام الصفرة فوق رأسه⁽¹⁸⁷⁾ وأحيانا أخرى كان يحدث الاقتتال بينهم، إذ وقعت عدة وقعات بين زعر دمشق عام 886 هـ/1481م⁽¹⁸⁸⁾ وتقاتل زعر الشاعور مع زعر المزابيل عام 893 هـ/1487م⁽¹⁸⁹⁾ وزعر القبيبان مع زعر ميدان الحصى عام 903 هـ/1497م⁽¹⁹⁰⁾ وزعر ميدان الحصى مع زعر الشاعور عام 903 هـ/1497م⁽¹⁹¹⁾ وكان من آثار هذا التقاتل أشاعت القتل والخراب والدمار في الحارات.

إقامة الزينة : كانت الزينة تقام في حارات دمشق وأسواقها لأسباب مختلفة في العصر المملوكي والعثماني، وهذه الأسباب تتمثل بقدوم زائر للمدينة من الدول الصديقة، إذ حين قدم أحد الأمراء العثمانيين للمدينة عام 891 هـ/1486م نودي بإظهار الزينة⁽¹⁹²⁾ ونودي بإظهار الزينة عام 900 هـ/1494م لعافية السلطان من المرض الذي يعاني منه⁽¹⁹³⁾ ونودي بإظهار الزينة عام 904 هـ/1498م لمقتل السلطان الناصر محمد بن قايטباي، وتقلد السلطنة قانصوه الغوري⁽¹⁹⁴⁾ وأقيمت الزينة والاحتفالات عام 892 هـ/1487م لتقلد نيابة السلطنة في المدينة نائب جديد⁽¹⁹⁵⁾ وكذلك عام 905 هـ/1499م إذ أقيمت الزينة في

(183) المصدر نفسه، ج 2، ص 43.

(184) المصدر نفسه، ج 2، ص 62.

(185) المصدر نفسه، ج 1، ص 260.

(186) المصدر نفسه، ج 1، ص 180.

(187) المصدر نفسه، ج 1، ص 114.

(188) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 94.

(189) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 92.

(190) المصدر نفسه، ج 1، ص 182.

(191) المصدر نفسه، ج 1، ص 183.

(192) المصدر نفسه، ج 1، ص 138-139.

(193) المصدر نفسه، ج 1، ص 165.

(194) المصدر نفسه، ج 1، ص 165.

(195) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 99، 112.

الحارات والأسواق والطرق، لتقلد النيابة نائب جديد⁽¹⁹⁶⁾ وأقيمت الزينة وخرج الناس للفرجة على النائب الجديد عام 912 هـ / 1506 م⁽¹⁹⁷⁾ واستمرت الزينة في دمشق وحاراتها سبعة أيام عام 908 هـ / 1502 م لولادة مولود ذكر للسلطان⁽¹⁹⁸⁾ وحين ولد مولود ذكر للسلطان عام 916 هـ / 1510 م دقت البشائر في دمشق وأقيمت الزينة⁽¹⁹⁹⁾ وأقيمت الزينة عام 909 هـ / 1503 م لانتصار نائب السلطنة على سلطان مكة⁽²⁰⁰⁾ وكذلك عام 913 هـ / 1507 م⁽²⁰¹⁾.

ودقت البشائر في دمشق وأقيمت الزينة عام 923 هـ / 1517 م بعد انتصار السلطان سليم خان على المماليك الجراكسة في مصر⁽²⁰²⁾ وعام 929 هـ / 1522 م حين ملك السلطان سليمان مدينة ردوس⁽²⁰³⁾ وعام 932 هـ / 1525 م حين استولى السلطان على أربعة وعشرين قلعة في منطقة البلقان⁽²⁰⁴⁾ وأطلق النفط في القلعة، ورش غالب أهل البلد بالزعفران، ودار المبشر على بيوت الأكابر والحارات بالطبل، بمناسبة زيارة السلطان سليم خان المدينة عام 923 هـ / 1517 م⁽²⁰⁵⁾.

الاحتفالات الدينية والخاصة

أ. الاحتفالات الدينية:

قدوم شهر رمضان:

كان الاحتفال بمقدم شهر رمضان يتمثل بإشغال القناديل في الجوامع⁽²⁰⁶⁾ وقراءة القرآن⁽²⁰⁷⁾ ورصد الأطعمة المناسبة للصوفية في الزوايا والتكايا ولطلبة العلم في المدارس⁽²⁰⁸⁾ وعمل الحلوى من أقراص المشبك والبسيس⁽²⁰⁹⁾ وأبطال الخروج للفرجة بالربو⁽²¹⁰⁾.

(196) المصدر نفسه، ص 136.

(197) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 303.

(198) المصدر نفسه، ج 1، ص 262.

(199) المصدر نفسه، ج 1، ص 341.

(200) المصدر نفسه، ج 1، ص 267.

(201) المصدر نفسه، ج 1، ص 315.

(202) المصدر نفسه، ج 2، ص 60.

(203) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 154.

(204) المصدر نفسه، ص 191.

(205) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 2، ص 44.

(206) المصدر نفسه، ج 1، ص 79.

(207) المصدر نفسه، ج 1، ص 25.

(208) المصدر نفسه، ج 2، ص 20.

(209) المصدر نفسه، ج 1، ص 128.

(210) المصدر نفسه، ج 2، ص 128.

عيد الفطر :

وكان الاحتفال به، حين ثبوت الرؤية، التكبير في المآذن⁽²¹¹⁾ وتأدية الصلاة في مصلي العيد⁽²¹²⁾ بحضور النائب ومعه أرباب الدولة والقضاة الأربعة، وهم يرتدين شاش مطرز بطراز خاص والبارودية بين أيديهم أثناء الخروج للصلاة، والحرافيش أو الزعر من حولهم⁽²¹³⁾.

يوم عرفه:

وكان الاحتفال به، يتمثل بزيارة الصالحين في دمشق وضواحيها⁽²¹⁴⁾.

عيد الأضحى :وكان الاحتفال به يتمثل بتأدية الصلاة في المصلى⁽²¹⁵⁾ بحضور نائب السلطنة ومعه أرباب الدولة من القضاة الأربعة وغيرهم⁽²¹⁶⁾ وكان الذي يتولى الخطبة قاضي الشافعية⁽²¹⁷⁾ وبعد تأدية الصلاة يذبح الناس الأضاحي، كما حصل عام 923م/هـ 1517م إذ كانت الأضاحي قليلة لغلاء الأسعار ونزول العسكر العثماني المدينة⁽²¹⁸⁾.

ختم الكتب الدينية:

كانت العادة الجارية، قيام أحد الشيوخ العارفين بقراءة الكتاب في الجامع الأموي، بحضور المشايخ وطلبة العلم، والنساء من خلف الستر، وبعد الختم تصنع وليمة، وينشد أحد الحاضرين قصيدة في مدح القوم، إذ حين ختم الشيخ عبد القادر كتاب البهجة الوردية عام 940م/هـ 1533م أطعم الناس رز بعسل وخبز تتوري، وأنشد قصيدة في مدح القوم⁽²¹⁹⁾ كما ختم الشيخ بدر الدين صحيح البخاري في الجامع الأموي، بحضور النساء من خلف الستر⁽²²⁰⁾ وختم الشيخ أمين الدين الجامع الصحيح بالجامع الأموي عام 940م/هـ 1533م وحضر القراءة خلق من النساء⁽²²¹⁾ ومدّ الشيخ تقي الدين سماطا حافلا من

(211) المصدر نفسه، ج 1، ص 27.

(212) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 96.

(213) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 211.

(214) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 293.

(215) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 96.

(216) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 211.

(217) المصدر نفسه، ج 1، ص 72.

(218) المصدر نفسه، ج 2، ص 76.

(219) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 229، 274.

(220) المصدر نفسه، ص 279.

(221) المصدر نفسه، ص 282.

17

الزواج : وكانت العادة جارية صنع ولائم، إذ صنع ناظر الحسبة وليمه حضرها النائب فمن دونه عام 918 هـ/ 1512م حين زوج ولده⁽²³²⁾.

الضيافة:

إذا صنع أهالي الصالحية ضيافة عظيمة عام 899 هـ/ 1493م ، حضرها خلق من الحارات، بمناسبة عزل الوالي ودوا دار السلطان⁽²³³⁾.

وأقام القاضي ابن الفرفور، ضيافة عظيمة للباشا عام 927 هـ/ 1520م، سقي فيها السكر قبل الأكل⁽²³⁴⁾.

السلوكيات السلبية في المجتمع:

ساد في المجتمع الدمشقي، خلال الفترة، الكثير من السلوكيات السلبية وهذه السلوكيات تتمثل ب السرقة، إذ قطعت أيدي ثلاث نسوة عام 894 هـ/ 1488م، بعد قيامهن بقتل امرأة ، وسرقة موجوداتها⁽²³⁵⁾ وقبض على جارية سوداء عام 895 هـ/ 1489م سرقت نحو مائة قطعة نحاسية⁽²³⁶⁾ وقبض على عبد حبشي عام 887 هـ/ 1482م اختلس نحو مائتي أشرفي⁽²³⁷⁾ وسرق الحرامية جهاز زوجة الشيخ النعيمي عام 900 هـ/ 1494م⁽²³⁸⁾ وطغت الحرامية عام 902 هـ/ 1496م واضطر النائب من أجل التضييق عليهم إلى تدريب الحارات⁽²³⁹⁾ وقتل مملوك جماعة وأخذ أموالهم عام 906 هـ/ 1510م وعري جماعة من النساء، وأخذ الأساور من أيديهن⁽²⁴⁰⁾ وهاجم الحرامية قيسارية القواسين عام 910 هـ/ 1504م⁽²⁴¹⁾ ووسط النائب جماعة، قاموا بالقتل والنهب والإفساد عام 916 هـ/ 1510م⁽²⁴²⁾ وقتلت طفلة عام 918 هـ/ 1512م وأخذ ما بأذنيها من حلق، وما

(232) المصدر نفسه، ج1، ص374.

(233) المصدر نفسه، ج1، ص160.

(234) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص128.

(235) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص107.

(236) المصدر نفسه، ج1، ص118.

(237) المصدر نفسه، ج1، ص53.

(238) المصدر نفسه، ج1، ص161.

(239) المصدر نفسه، ج1، ص172، 179.

(240) المصدر نفسه، ج1، ص235.

(241) المصدر نفسه، ج1، ص281.

(242) المصدر نفسه، ج1، ص349.

شرب الخمر:

(243) المصدر نفسه، ج 1، ص 369.

(244) المصدر نفسه، ج2، ص21.

(245) المصدر نفسه، ج2، ص81.

(246) المصدر نفیه، ج 2، ص 98.

(247) ابن طولون الصالحی، حوادث دمشق اليومية، ص 125.

(248) المصدر نفسه، ص 216.

(249) المصدر نفسه، ص 350 .

(250) المصدر نفسه، ص 122.

(251) ابن طولون الصالحى، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 32.

(252) المصدر نفسه، ج 1، ص 21.

(253) المصدر نفسه، ج 1، ص 138-139.

(254) المصدر نفسه، ج1، ص158.

(255) المصدر نفسه، ج1، ص8.

(256) المصدر نفسه، ج 1، ص 84.

(257) البصروي، تاريخه، ص 221.

(258) ابن طولون الصالحی، مفاکهة الخلان، ج 1، ص 197.

(259) المصدر نفسه، ج 1، ص 205.

وهو يشرب الخمر⁽²⁶⁰⁾ وأبطلت الخمارات والمناكير عام 905 هـ/1499م⁽²⁶¹⁾ وعام 906 هـ/1500م⁽²⁶²⁾ وعام 910 هـ/1504م⁽²⁶³⁾ ولكثرة الخمر عام 912 هـ/1506م⁽²⁶⁴⁾ أبطل النائب الخمر والخمارات عام 913 هـ/1507م⁽²⁶⁵⁾ وأبطل الخمر والحشيش عام 927 هـ/152م⁽²⁶⁶⁾ ويقال أن النائب دخل دمشق عام 940 هـ/1533م ووعاء الخمر ظاهر أمامه⁽²⁶⁷⁾ كما أتهم أحد الشيوخ باستعمال الأفيون عام 1949 هـ/1542م⁽²⁶⁸⁾.

ورافق شرب الخمر شرب القهوة وكثرة حوانيتها، وقد دار جدل بين العلماء حول حرمتها من عدمه، وكان من رأي ابن طولون، أنه لا يرى الضرر من شربها رغم أن النفس تنفر من شربها⁽²⁶⁹⁾ في حين أفتى بعض العلماء بتحريم شربها، لاسيما إذا رافق شربها إدارة كأس وسماع المزمارة وآلات اللهو الأخرى⁽²⁷⁰⁾ ولهذا نادى قاضي الحنفية عام 950 هـ/1543م أن لا تشرب بحضور جماعة مع الغناء والموسيقى، ولهذا عندما زار حوانيتها ووجد الناس على الهيئة التي ذكرها، ضرب كل من وجده، بحجة أن ما توصل به إلى الحرام فهو حرام⁽²⁷¹⁾ وأخيرا يشار شيوع شربها في مكة المكرمة خلال الفترة مع المزمارة ولعب الشطرنج والمنقلة⁽²⁷²⁾ والقهوة في الأصل كما يذكر ابن طولون تستخرج من قشر البن الآتي من بلاد اليمن⁽²⁷³⁾.

(260) ابن طولون الصالح، إعلام الوري، ص 116.

(261) المصدر نفسه، ص 147.

(262) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 230.

(263) المصدر نفسه، ج 1، ص 288.

(264) المصدر نفسه، ج 1، ص 330.

(265) المصدر نفسه، ج 1، ص 314.

(266) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 122.

(267) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج 1، ص 215.

(268) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 350.

(269) المصدر نفسه، ص 290.

(270) المصدر نفسه، ص 358.

(271) المصدر نفسه، ص 357.

(272) المصدر نفسه، ص 360.

(273) المصدر نفسه، ص 360.

بنات الخطي (الهوى):

يشير المصدر إلى وجود هذه الظاهرة في المجتمع، حتى كان لهن حارة تدعى حارة البغيل (274) وكثر الفساد والمنكر عام 890 هـ/1485م (275) وقبض على أمردان اجتماعا بصبيه عام 893 هـ/1487م (276) وفعل نائب بعلبك الفاحشة بامرأة عام 894 هـ/1488م، بعد أن نقلها من دمشق إلى بعلبك (277) وكثر الفساد وبنات الخطا عام 896 هـ/1490م (278) وعام 904 هـ/1498م (279) من النساء والمردان والخمر والحشيش (280).

وكانت أعظم بنت خطا عام 904 هـ/1498م. جارية بيضاء تدعى جان سوار (281) وكثرت المناكير عام 905 هـ/1499م (282) وعام 906 هـ/1500م بحيث قبض على امرأة خطا بمحلة السويقه (283) وكثرت المعاصي عام 923 هـ/1517م (284) حتى قبض على أحد القضاة متلبسا بالزنا (285).

وبما أن هذه الظاهرة غريبة عن المجتمع الدمشقي الأصيل، فقد سعت السلطة على محاربتها، إذ قام النائب بجرف حارة البغيل عام 885 هـ/1480م (286) ونادى بأبطال المحرمات عام 892 هـ/1486م (287) والمناكير عام 903 هـ/1497م (288) وعام 934 هـ/1527م (289) ونادى القاضي بمنع النساء من الخروج إلى الأسواق إلا ومعها زوجها، ولا

(274) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص20.

(275) البصري، تاريخه، ص111.

(276) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص93.

(277) المصدر نفسه، ج1، ص109.

(278) المصدر نفسه، ج1، ص138-139.

(279) المصدر نفسه، ج1، ص210.

(280) المصدر نفسه، ج1، ص205.

(281) ابن طولون الصالحي، إعلام الوري، ص119.

(282) المصدر نفسه، ص147.

(283) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص240.

(284) المصدر نفسه، ج2، ص58.

(285) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص222.

(286) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان، ج1، ص20.

(287) المصدر نفسه، ج1، ص84.

(288) المصدر نفسه، ج1، ص197.

(289) ابن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، ص203.

يكشف النساء والرجال العورة في الحمام، واشترط وضع فوطة تصل إلى الركبتين، ووضع ستر كبير على باب النساء، وإلا يدخل أمرد الجامع الأموي ليلاً (290) ولا يخرج أحد من بيته إلا ويلبس سروال، ومن خرج دون ذلك يخصى (291).

وانتشرت ظاهرة المرد والمخنثين، إذ وجد شاب أمرد مقتولا عام 902 هـ/1496 م وهو يرتدي الثياب الحسان، ومعه دراهم والة شرب (292) وأقيم للعلوق (المخنثون) وال عام 929 هـ/1522 م بعد أن التزم بتقديم خمسمائة عثماني كل شهر (293).

العقاب؛

تنوعت طرق العقاب التي كانت السلطة السياسية تتبعها، في محاربة السلوكيات السادة، بين تطبيق أحكام الشرع الشريف وأحكام العرف والتقاليد السائدة، فعقاب القتل كان القتل ولكن بطرق مختلفة، بين التوسيط كما فعل النائب برجل نصراني قتل زوجته عام 895 هـ/1489 م (294) أو الضرب بالخناجر والإحراق كما فعل العامة بمملوك قتل جماعة من الرجال والنساء عام 906 هـ/1500 م (295) أو الشنق كما فعل النائب برجل أزعر من محلة جامع حسان عام 904 هـ/1498 م (296).

أما بنات الخطأ، فقد كن يعذبن بالكلس والماء والضرب حتى الموت (297) أو تسويد الوجوه ووضع كروش الغنم على رؤوسهن، والركوب على الحمير بشكل مقلوب ومن ثم القتل بعد التعزير (298) في حين أن الرجل الزاني يوضع الجبل في رقبتة، ويركب على حمار بشكل مقلوب ويقتل بعد التعزير (299) أو الحفر له حفرة، وبعد تكتيفه يرحم حتى الموت (300).

(290) المصدر نفسه، ص. 281.

(291) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص 59.

(292) المصدر نفسه، ج1، ص 177.

(293) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص 152.

(294) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص 153.

(295) المصدر نفسه، ج1، ص 235.

(296) المصدر نفسه، ج1، ص 202.

(297) المصدر نفسه، ج1، ص 240.

(298) ابن طولون الصالح، حوادث دمشق اليومية، ص ١٣٤.

(299) المصدر نفسه، ص 142.

(300) المصدر نفسه، ص 222.

في حين يعاقب شارب الخمر والسارق الضرب ضرباً مبرحاً⁽³⁰¹⁾ أو وضع جنزير في كتفيه ووضع طبله فوق رأسه، والطواف به على الدور في الحارات⁽³⁰²⁾.

الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث أن نتعرف بجلاء، وإن نوضح مظاهر الحياة الاجتماعية في دمشق خلال الفترة ورأينا:

□ أن التنوع الديني الذي نعمت به المدينة، كانت لها أكبر الأثر في حياتها ورخائها وتقدمها وحضارتها .

□ أن سياسة المماليك والعثمانيين إزاء الحارات، جعل دور الحارة يتعاظم في حماية مجتمع الحارة من الأخطار الخارجية، والمساهمة في حملات الدولة العسكرية ضد الخارجين على السلطة.

□ أحدثت الفترة تعديلاً خطيراً في سلوك المجتمع، إذ ظهرت فئة من السكان، أخذت تمارس الدور الذي تمارسه السلطة السياسية .

□ كما رأينا كيف كثر إقامة الزينة في الأسواق والحارات، وأثر تلك الزينة في تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية .

□ ينسب إلى هذه الفترة كثرة الاحتفالات الدينية والخاصة للمسلمين وأهل الذمة، ورافق ذلك الكثير من مظاهر الترف والمجون .

□ لا يسعنا أن نختم دون التنبيه إلى كثرة الآفات الاجتماعية الغريبة عن المجتمع الدمشقي الأصل. ونقرر مع الاطمئنان والثقة أن السلطة السياسية قد وقفت الموقف الحازم من هذه الآفات الدخيلة على المجتمع.

(301) ابن طولون الصالح، مفاكهة الخلان، ج1، ص162.

(302) المصدر نفسه، ج1، ص177.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر المعتمد:

1. ابن طولون الصالح، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 953 هـ/1546م) . مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، 2 ح، حققه وكتب له المقدمة والحواشي والفهارس محمد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1962.
2. حوادث دمشق اليومية، غداة الغزو العثماني للشام 926 هـ 951 هـ، صفحات مفقودة تنشر للمرء الأولى من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق أحمد أبيش، دار الأوائل ، دمشق، 2002.

المصادر المساعدة:

3. البصروي، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي البصروي الشافعي (ت 905 هـ/1499م)، تاريخ البصروي صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة 904 - 871 هـ ، تحقيق أكرم حسن العلي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1988.
4. ابن طولون الصالح، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 953 هـ/1546م) الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
5. إعلام الوري بمن والي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1404 هـ.
6. ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ/1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8 ح، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979.
7. الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، 3 ح، حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.

المراجع الحديثة:

8. دار فثيو، الفارس، وصف دمشق في القرن السابع عشر (1660-1701م) تعليق أحمد أيبش، دار المأمون للتراث، دمشق، 1982.
9. ديجورج، جيرار، دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر، ترجمة محمد رفعت عواد، مراجعة وتقديم محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
10. زواهره، تيسير خليل، تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء حوران 1840 - 1864م/1255-1282هـ، جامعة مؤتة، الكرك، 1992.
11. العُلبى أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانية 906-922 هـ-1500-1520م، دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية. الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، 1982.
12. نعيسه، يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين-1772-1840 م/1186-1256هـ، 2، ح، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1986.

الدوريات:

13. صالحه، محمد عيسى، ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي، مجلة أبحاث اليرموك، م9، ع4، 1994.